

حديث القرآن الكريم عن القلب
وأسمائه وأنواعه ومحلّه
- دراسة موضوعية تحليلية -

د. عبدالله صباح الملا

Dr.abdullah almulla

أستاذ مشارك

بجامعة الكويت، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التفسير والحديث

The Holy Quran talks about hearts

dr.almulla4a@hotmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة القلب من خلال نظرة الشرع له، وذلك بالتعريف بالقلب لغة واصطلاحًا، وذكر الاستعمال القرآني للفظ القلب ونظائرها، وبيان محل ومكان القلب الحقيقي، ثم بعد ذلك تم وتوضيح مفهوم القلب في الشرع. بيان أنواعه التي ذكرها القرآن الكريم، ثم التعريف بالقلب السليم وصفاته وبالقلب المريض وصفاته، وبالقلب الميت وصفاته وسنة الله في كل واحد منهم، وذلك لاهتمام القرآن الكريم بالقلب، الذي به صلاح الإنسان أو فساده.

Research summary:

This research deals with the study of the heart through the Shari'a view of it, by defining the word heart linguistically and idiomatically, mentioning the Qur'anic use of the word heart and its analogues and indicating the real place and location of the heart.

It also defines the attributes of well and dead heart according to Shari'a and Allah way on both of the two types.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى من اتبعه وسار بهداه الى يوم الدين، أما بعد:

فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، ومعجزة نبينا ﷺ، وآخر الكتب السماوية وناسخها، حفظه الله من التحريف والتبديل.

ولقد اهتم القرآن الكريم بالقضايا الكبرى اهتماما بالغا، كتوحيد الله تعالى، وأصول الايمان، والعبادات والقربات وتزكية النفس وغيرها، ولما كان أساس الدين معرفة الله تعالى وتوحيده، كانت أكثر آيات القرآن عنها. وعليه، فإن كثرة الآيات عن موضوع ما، ملازم لمركزيته في الشريعة الاسلامية. ومن الموضوعات التي أولى القرآن الكريم الاهتمام بها موضوع القلب، فالقلب جاء في القرآن بالإفراد والجمع، ومع عدد من الضمائر المختلفة (١٣٢) مرة. وفي هذا دليل واضح على أهميته ومركزيته وأثره على الفرد في الدنيا والآخرة.

وقد اهتمت الشريعة بالقلب لأنه محل الحكم على الإنسان ففيه الكفر أو الإيمان، التقوى أو الفسق كما قال ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ} (١).

وتتنوع القلوب بتنوع البشر، وتختلف باختلاف معتقداتهم وظروفهم فهناك صاحب القلب السليم، وصاحب القلب المريض، وصاحب القلب الميت، ولكلهم آيات دالة عليهم، وصفات يعرف بها، وسنن إلهية أخبرنا الله تعالى عنها.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤] «فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبا ناجيا، فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب

(١) أخرجه مسلم (٨ / ١١) برقم: (٢٥٦٤).

المؤمن المخبت إلى ربه. وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد^(١).

مشكلة البحث:

هل العقل في الدماغ أم القلب؟ وهل القلب هو الذي يتحكم في مشاعر واختيار الإنسان أم العقل؟

أسئلة البحث:

- ١- ما مفهوم القلب في الشرع؟
 - ٢- ما أنواع القلوب التي ذكرها القرآن الكريم؟
 - ٣- أين مكان القلب الحقيقي في الجسد؟
- أهداف اختيار الموضوع:
- ١- توضيح مفهوم القلب في الشرع.
 - ٢- بيان أنواع القلوب التي ذكرها القرآن الكريم.
 - ٣- تحديد مكان القلب الحقيقي في الجسد.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- الرغبة في دراسة ما يتعلق في القلب مما ورد في الشرع.
- ٢- الوصول إلى فهم أسرار وصف القرآن الكريم للقلوب وأنواعها.
- ٣- كثرة ورود الآيات التي تتكلم عن القلب في القرآن الكريم والتي تدل على حقائق علمية مما له أثر في زيادة الإيمان.
- ٤- الاستفادة من منهج القرآن الكريم في بسط أنواع القلوب وأصحابها مما يساعد في الدعوة إلى دين الله تعالى.

(١) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١/٩).

أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في موضوعه حيث يتناول البحث موضوع القلب الذي به صلاح الإنسان أو فساده، فإن صلح صلح الجسد كله وإن فسد فسد الجسد كله لذلك اهتم القرآن الكريم به، وبين أصنافه وعاقبة أصحاب كل صنف.

الدراسات السابقة: يوجد مؤلفات كثيرة تتحدث عن القلب وصفاته وأعماله، لكن سأقتصر على ذكر المؤلفات التي درست هذا الموضوع دراسة قرآنية موضوعية، وهي كالتالي:

- القلوب ونظائرها في القرآن الكريم دراسة موضوعية، جبر أحمد أبو عيشة، الجامعة الإسلامية، غزة.

- القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان، أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي.

- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القلب، (٤٠٢/٢٧)، إشراف وتحرير مركز تفسير للدراسات القرآنية.

ومن خلال ما مر من عناوين للموضوعات التي كتبت في موضوع القلب، يتبين أن الفرق بين موضوع الباحث وما كُتب قبله أن الباحث أراد بيان موقع مكان العقل الحقيقي، هل هو في الدماغ أو في الصدر؟ وهل الذي يتحكم بسلوك الإنسان القلب أم الدماغ؟

موضوع البحث: دراسة بعض الآيات التي تضمنت ذكر القلب ومرادفاته، واستخراج حكمها.

حدود البحث: الآيات المتعلقة بلفظة القلب مع الإشارة إلى نظائرها من خلال سور القرآن الكريم.

منهج البحث:

سار الباحث على المنهج الموضوعي، وذلك بإيراد الآيات حسب الموضوعات التي تحدثت عن القلب، مستعيناً بالمنهج التحليلي وذلك حسب الحاجة.

خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أسئلة البحث، وأهدافه وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه: تعريف القلب لغة واصطلاحاً، والاستعمال القرآني للفظ القلب ونظائرها،

وبيان أن القلب محل العقل.

المبحث الأول: القلب السليم، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف القلب السليم.

المطلب الثاني: صفات القلب السليم.

المطلب الثالث: سنة الله في أصحاب القلوب السليمة.

المبحث الثاني: القلب المريض، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف القلب المريض.

المطلب الثاني: صفات القلب المريض.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى في القلوب المريضة.

المبحث الثالث: القلب الميت، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف القلب الميت.

المطلب الثاني: صفات القلب الميت.

المطلب الثالث: سنة الله في أصحاب القلوب الميتة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المطلب الأول: تعريف القلب لغة واصطلاحاً.

القلب: لغة: القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما: يدل على خالص شيء وشريفه،

والآخر: على رد شيء من جهة إلى جهة. فالأول القلب: قلب الإنسان وغيره، سمي لأنه أخلص

شيء فيه وأرفعه. وخالص كل شيء وأشرفه قلبه. (١)

واصطلاحاً: اختلف العلماء فيما بينهم في تعريفه نظراً لاختلاف نظرتهم إليه، فمنهم من نظر

إليه نظرةً مادية، ومنهم كانت نظرتهم معنوية، فهو:

١- من الناحية المادية: القلب هو عضو عضلي أجوف هرمي الشكل تقريباً، موضوع في

تجويف الصدر إلى اليسار من الرئتين. (٢)

٢- من الناحية المعنوية: لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في

الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسمونها الحكيم: النفس

(١) مقاييس اللغة (١٧/٥).

(٢) المبادئ الأولية في بيان جسم الإنسان (ص ١٣١).

الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب. (١)

والقلب في الإسلام محل الكفر والإيمان فإذا صلح، صلح القول والعمل، وإذا فسد، فساد، قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٢).

المطلب الثاني: الاستعمال القرآني للفظة القلب ونظائرها (٣):

١- لفظة القلب: ورد (القلب) في القرآن الكريم (١٣٢) مرة (٤)، منه ١٩ مرة بصيغة المفرد، ومرة بصيغة المثني، و١١٢ بصيغة الجمع.

وجاء القلب في الاستعمال القرآني على ثلاثة أوجه: (٥)

الأول: العقل: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧]. يعني: عقل.

الثاني: الرأي: ومنه قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر: ١٤]. يعني: آراؤهم شتى.

الثالث: القلب بعينه الذي في الصدر: ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]. يعني: القلب الذي هو محل النفس.

١- لفظة الفؤاد: لغة: (فأد) الفاء والألف والبدال هذا أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة، ومما هو من قياس الباب عندنا: الفؤاد، سمي بذلك لحرارته. (٦)

قال أبو هلال العسكري في الفرق بين القلب والفؤاد: لم يفرق بينهما أهل اللغة، بل عرفوا كلا منهما بالآخر، وقال بعض أصحابنا من أهل الحديث: الافتدة توصف بالرقة، والقلوب باللين،

(١) التعريفات (١٧٨/١).

(٢) أخرجه مسلم (١١/٨) برقم: ٢٥٦٤.

(٣) هذا المطلب مستفاد في مجمله من رسالة ماجستير بعنوان القلوب ونظائرها في القرآن الكريم لجبر أحمد أبو عشبة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (ص/٥٤٩-٥٥١).

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي (ص/٤٨٣)، الوجوه والنظائر، الدامغاني (ص/٣٨٥).

(٦) مقاييس اللغة (٤/٤٦٩) باختصار.

لأن الفؤاد: غشاء القلب، إذا رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله، وإذا صادف القلب شيئاً علق به إذا كان لينا.^(١)

٢- لفظة الصدر: لغة: الصاد والذال والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره.^(٢)

واصطلاحاً: صدر: مسكن القلب، يشبه رئيس القوم، والعالي المجلس لشرف منزلته على غيره من الناس.^(٣)

٣- لفظة النَّفس: لغة: النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه.^(٤)

واختلف العلماء في تعريفها اصطلاحاً اختلافاً كبيراً: قال الراغب: هي الروح^(٥). وقال الجرجاني: ^(٦) هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه. وهي ثلاثة أنفس:

النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمّر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة.

النفس اللوامة: هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة، بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتوب عنها.

النفس المطمئنة: هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة.

(١) معجم الفروق اللغوية (ص: ٤٣٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٣٣٧).

(٣) التوقيف على مهمات التعريفات (ص/٢١٣).

(٤) مقاييس اللغة (٥/٤٦٠).

(٥) المفردات (ص/٨١٨).

(٦) المفردات (ص/٢٤٢-٢٤٣).

المطلب الثالث: بيان أن القلب محل العقل^(١).

نالت هذه المسألة قدرا كبيرا من الجدل بين العلماء قديما وحديثا، والراجع من هذه الأقوال هو ما دل عليه القرآن والسنة أن محل العقل هو القلب لا الدماغ كما سيأتي. أما الفلاسفة من القدماء وأكثر الأطباء في هذا العصر فإنهم يقولون: إن العقل في الدماغ. ومن النصوص الدالة على أن العقل في القلب:

قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، ولم يقل: ولكن تعمي القلوب التي في الأدمغة. قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦]، فجعل القلب محلا للعقل.

وقول النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢). فقوله: مضغة، نص في القلب الحسي اللحمي المعروف، والمضغة: هي القطعة من اللحم على قدر ما يمضغ

قال الحافظ ابن حجر: ويستدل به على أن العقل في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾^(٣).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْدُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ }^(٤). وفي إشارة النبي ﷺ إلى صدره، ولم يشر إلى دماغه، كما يفعل كثير من الناس إذا أراد أن يشير إلى كمال عقله، أشار إلى رأسه.

وبعد إطالة النظر في هذه المسألة وهي: هل محل العقل الدماغ أم القلب؟ وهل الذي يتحكم بسلوك الإنسان القلب أم الدماغ؟

(١) هذا المطلب مستفاد في مجمله من فتوى للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله وهو من أحسن الأجوبة في هذا الباب راجع العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ١٦٠)، وكتاب أعمال القلوب للدكتور خالد السبت حفظه الله (١/ ١٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢٩).

(٤) أخرجه مسلم (٨/ ١٠) برقم: ٢٥٦٤.

فالذي يتبناه الباحث هو بعينه ما ذكره العلامة محمد الأمين الشنقيطي عندما سُئِلَ عن ذلك، فأجاب وأفاد بقول فَضْل، لا يدع بعده مجالاً لقول آخر، وكما قيل: لا عِطْرُ بعد عروس!! وقد اختصرت كثيراً من كلامه خشية لإطالة، فقال رحمه الله: والجواب -حفظكم الله ووفقكم- عن المسألة الأولى التي هي محل العقل هو ما ستره، ولا يخفى على معاليكم أن بحث العقل بحث فلسفي قديم، ولفلاسفة فيه مائة طريق باعتبارات كثيرة مختلفة، غالبها كله تخمين وكذب وتخبط في ظلام الجهل، وهم يسمون الملائكة عقولاً ويكثرون البحث في العقول العشرة المعروفة عندهم، ويزعمون أن المؤثر في العالم هو العقل الفياض، وإن نوره ينعكس على العالم كما تنعكس الشمس على المرأة، فتحصل تأثيراته بذلك الانعكاس، ويبحثون في العقل البسيط الذي يمثل به المنطقيون للنوع البسيط، إلى غير ذلك من بحوثهم الباطلة المتعلقة بالعقل من نواح شتى، ومن تلك البحوث قول عامتهم إلا القليل منهم، إن محل العقل الدماغ، وتبعهم في ذلك قليل من المسلمين، ويذكر عن الإمام أحمد أنه جاءت عنه رواية بذلك وعامة علماء المسلمين على أن محل العقل القلب، وسنوضح -إن شاء الله تعالى- حجج الطرفين ونبين ما هو الصواب في ذلك. اعلم أولاً، وفقنا الله وإياك، أن العقل نور روحاني تدرك به النفس العلوم النظرية والضرورية، وأن من خلقه وأبرزه من العدم إلى الوجود وزين به العقلاء وأكرمهم به، أعلم بمكانه الذي جعله فيه من جملة الفلاسفة الكفرة الخالية قلوبهم من نور سماوي وتعليم إلهي، وليس أحد بعد الله أعلم بمكان العقل من النبي ﷺ الذي قال في حقه: ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تعالى عن نفسه: ﴿ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كل منهما التصريح بأن محل العقل القلب، وكثرة ذلك وتكراره في الوحيين لا يترك احتمالاً ولا شكاً في ذلك، وكل نظر عقلي صحيح يستحيل أن يخالف الوحي الصريح، وسندكر طرفاً من الآيات الكثيرة الدالة على ذلك، وطرفاً من الأحاديث النبوية، ثم نبين حجة من خالف الوحي من الفلاسفة ومن تبعهم، ونوضح الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى. واعلم -أولاً- أنه يغلب في الكتاب والسنة إطلاق القلب وإرادة العقل، وذلك أسلوب عربي معروف؛ لأن من أساليب اللغة العربية إطلاق المحل وإرادة الحال فيه كعكسه، والقائلون بالمجاز يسمون ذلك الأسلوب العربي مجازاً مرسلًا، ومن علاقات المجاز المرسل عندهم المحلية والحالية، كإطلاق القلب وإرادة العقل؛ لأن القلب محل العقل، وإطلاق النهر الذي هو الشق في الأرض على الماء الجاري فيه، كما هو معلوم في محله. وهذه بعض نصوص الوحيين، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فعابهم الله بأنهم لا يفقهون بقلوبهم،

والفقه الذي هو الفهم لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على أن القلب محل العقل، ولو كان الأمر كما زعمت الفلاسفة لقال: لهم أدمغة لا يفقهون بها. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ولم يقل: فتكون لهم أدمغة يعقلون بها، ولم يقل: ولكن تعمى الأدمغة التي في الرؤوس كما ترى، فقد صرح في آية الحج هذه بأن القلوب هي التي يعقل بها، وما ذلك إلا لأنها محل العقل كما ترى، ثم أكد ذلك تأكيداً لا يترك شبهة ولا لبساً فقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، فتأمل قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تفهم ما فيه من التأكيد والإيضاح، ومعناه: أن القلوب التي في الصدور هي التي تعمى إذا سلب الله منها نور العقل، فلا تميز بعد عماها بين الحق والباطل، ولا بين الحسن والقبيح، ولا بين النافع والضار، وهو صريح بأن الذي يميز به كل ذلك وهو العقل ومحله القلب. ثم ذكر الدليل على ذلك من السنة بعد أن أطال النفس في الأدلة القرآنية حيث قال: وأما الأحاديث المطابقة للآيات التي ذكرنا الدالة على أن محل العقل القلب، فهي كثيرة جداً كالحديث الصحيح الذي ذكر والذي فيه: «ألا وهي القلب»، ولم يقل فيه: ألا وهي الدماغ، وكقوله ﷺ: {يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك}، ولم يقل: يا مقلب الأدمغة ثبت دماغي على دينك، وكقوله ﷺ: {قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن} (١)، وهو من أحاديث الصفات، ولم يقل: دماغ المؤمن إلخ. والأحاديث بمثل هذا كثيرة جداً فلا نطيل بها الكلام، وقد تبين مما ذكرنا أن خالق العقل وواهبه للإنسان بين في آيات قرآنية كثيرة أن محل العقل القلب، وخالقه أعلم بمكانه من كفرة الفلاسفة، وكذلك رسوله - صلى الله عليه وسلم - كما رأيت. أما عامة الفلاسفة إلا القليل النادر منهم فإنهم يقولون: إن محل العقل الدماغ، وشذت طائفة من متأخريهم فزعموا أن العقل ليس له مركز مكاني في الإنسان أصلاً، وإنما هو زمني محض لا مكان له، وقول هؤلاء أظهر سقوطاً من أن نشتغل بالكلام عليه. ومن أشهر الأدلة التي يستدل بها القائلون إن محل العقل الدماغ هو أن كل شيء يؤثر في الدماغ يؤثر في العقل، ونحن لا ننكر أن العقل قد يتأثر بتأثر الدماغ، ولكن نقول بموجبه، فنقول: سلمنا أن العقل قد يتأثر بتأثر الدماغ، ولكن لا نسلم أن ذلك يستلزم أن محله الدماغ، وكم من عضو من أعضاء الإنسان خارج عن الدماغ بلا نزاع، وهو يتأثر بتأثر الدماغ كما هو معلوم، وكم من شلل في بعض أعضاء الإنسان ناشئ عن اختلاف واقع في الدماغ، فالعقل خارج عن الدماغ، ولكن سلامته مشروطة بسلامة

(١) أخرجه مسلم: ٣٦٥٤.

الدماغ، كالأعضاء التي تختل باختلال الدماغ فإنها خارجة عنه، مع أن سلامتها مشروطة فيها سلامة الدماغ كما هو معروف^(١).

(١) الفتاوى، لمحمد الأمين الشنقيطي (ص/٢٣).

المبحث الأول القلب السليم

المطلب الأول: تعريف القلب السليم.

السليم لغة من (سَلِمَ) السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ السَّلَامُ، لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالتَّقْصِ وَالْفَنَاءِ.^(١)

قال ابن القيم: القلب الصحيح: هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله. فسلم في محبة غير الله معه ومن خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق. وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده^(٢).

المطلب الثاني: صفات القلب السليم: يتصف هذا القلب السليم بعده صفات منها:

المسألة الأولى: الاطمئنان:

وورد في القرآن الكريم آيات متعددة تصف القلب بالاطمئنان، فمن هذه الآيات: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]. ذكر الله لنبِيِّهِ ﷺ قصة إبراهيم عليه السلام، حين طلب من ربِّه أن يجعله يُشاهد بعينه كيفية إحياء الله للموتى، فقال له الله تعالى: أولست مؤمناً؟ فأجاب نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام: بأنه مؤمن، ولا يعتربه أيُّ شكٍّ، ولكن أراد أن يزداد طمأنينةً.

(١) التعريفات (١٢٠/١).

(٢) بتصرف يسير من إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/٤١).

«فاليقين في شأن خليل الرحمن موجود كائن، ولكنه ﷺ يريد سكون قلبه بمضامة العيان إلى الإيمان والإيقان بأن الله قادر على ذلك»^(١).

«فإن القلوب تتنوع تبعاً لدرجات الإيمان في قلوبهم، فالقلب المطمئن هو القلب الذي إذا ذَكَرَ اللهُ أو ذَكَرَ به هدأ باله واطمئنَّ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولا يكون القلب مطمئناً لكلام الله إلا إذا كان سليماً أولاً»^(٢).

وقد ذكر تعالى في كتابه أنه أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين في غزوة بدر، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وذكر ابن عاشور في تفسيره: «الطَّمَأْنَنَةُ وَالطَّمَأْنِينَةُ: السُّكُونُ وَعَدَمُ الإِضْطِرَابِ، وَاسْتَعِيرَتْ هُنَا لِیَقِينِ النَّفْسِ بِحُصُولِ الأَمْرِ تَشْبِيهًا لِلْعِلْمِ الثَّابِتِ بِثَبَاتِ النَّفْسِ أَيْ عَدَمِ اضْطِرَابِهَا»^(٣).

وقد وردت الطمأنينة في القرآن الكريم على عدة معانٍ:^(٤)

١- يقين النفس: كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ [١١٤] بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [١١٥] وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٦].

٢- السكون مع اليقين بالنصر: كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [١٠] وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩-١٠].

٣- عدم تغيير العقيدة: كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ذكر ابن كثير في تفسير قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِّمَّنْ كَفَرَ بِلِسَانِهِ وَوَافَقَ الْمُشْرِكِينَ بِلَفْظِهِ مُكْرَهًا لِمَا نَالَهُ مِنْ ضَرْبٍ وَأَذَى، وَقَلْبُهُ يَأْبَىٰ مَا يَقُولُ، وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥). فمعنى ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: أي: لم تتغير عقيدته، وفيه دليل على

(١) موسوعة التفسير الموضوعي (٤٠٦/٢٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٣٣/١).

(٣) التحرير والتنوير (٧٨/٤).

(٤) راجع موسوعة التفسير الموضوعي (٤٠٧/٢٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٦٠٥/٤).

أن الإيمان هو التصديق بالقلب.^(١)

المسألة الثانية: التقوى.

وقد وردت عدة آيات تصف القلب بالتقوى منها:

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

قال الألوسي: «التقدير فإن تعظيمها من تقوى القلوب وتقييد التقوى بالقلوب، للإشارة إلي أن التقوى قسمان: تقوى القلوب والمراد بها التقوى الحقيقية الصادقة التي يتصف بها المؤمن الصادق، وتقوى الأعضاء والمراد بها التقوى الصورية الكاذبة التي يتصف بها المنافق الذي كثيرا ما تخشع أعضائه وقلبه ساه لاه»^(٢).

وقال السعدي: «فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله»^(٣).

المسألة الثالثة: الإنابة:

فمن صفات القلوب السليمة الإنابة، ووصف القلب بالإنابة التي هي الرجوع إلى الله تعالى، لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب، فالقلب المنيب يأمر صاحبه دوما بالرجوع إلى الله مخلصاً ومقبلاً على الطاعة^(٤).

ولم تقترن الإنابة بالقلب في القرآن إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۗ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۗ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۗ ﴾ [ق: ٣١-٣٣].
وعلامة القلب المنيب كما يقول أبو بكر الوراق: «أن يكون عارفاً لحرمة الله، ومواليّاً له، ومتواضعاً لجلاله وتاركاً لهوى نفسه»^(٥).

إذا فالرجوع الدائم لجناب الحق عين الإنابة التي هي صفة عظيمة من صفات القلب السليم.
المسألة الرابعة: الوجل.

والوجل في الاستعمال القرآني لا يكون إلا لقلوب المؤمنين حقاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي، (٥/٦٥٧).

(٢) تفسير الألوسي (٩/١٤٥).

(٣) تفسير السعدي (١/٥٣٨).

(٤) الكشاف، للزمخشري (٤/١١).

(٥) تفسير القرطبي (١٧/٢١).

قال القاسمي: ﴿وَإِذَا نُفِيتَ عَلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: حججه وهي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ﴾ يقيناً وطمأنينة نفس، إلى ما عندهم فإن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدمه. وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهاها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة^(١).

وقد شبه الوجع في القلب باحترق السعفة، فعن شهر بن شوحب، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: الوجع في القلب كاحترق السعفة أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله، فإن الدعاء يذهب بذلك، وقال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في الوجع - بالكسر -: هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال: يهجم بمعصية. فيقال له: اتق الله فيجمل قلبه^(٢). فبعد معرفة معنى الاطمئنان والوجع، فقد يقول قائل: كيف يكون القلب مطمئناً ووجعاً بنفس الوقت؟

قال الشنقيطي: والجواب عن هذا أن الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجع يكون عند خوف الزيف والذهاب عن الهدى، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]^(٣).

ومن الآيات الواردة في الوجع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

قال ابن كثير: «يؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ يقول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قال: المؤمن ينفق ماله ويتصدق، وقلبه وجل أنه إلى ربه راجع^(٤).

قال الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، في هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «لَا يَا

(١) محاسن التأويل (٥/ ٢٥٦).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٥).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٠٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١٩/ ٤٤).

بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (١)
المسألة الرابعة: الطهر:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَمُ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. قال السعدي: «لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأظهر لقلبه، فلهذا من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرا من تفاصيلها أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة، وأنه مشروع البعد عنها بكل طريق» (٢)، فطهارة القلب من أعظم صفات المدح والثناء، وعدم طهارته من أعظم أسباب الشقاء والازدراء (٣).

وقد حمل جمهور المفسرين قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ ۝ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١-٤] بتطهير الثياب على تطهير القلب، يقول ابن القيم: وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هنا القلب والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق (٤).
المسألة الخامسة: الاهتداء:

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. يقول الطبري في تفسيره: «ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه، قال ابن عباس: يعني يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» (٥).
وخلاصة القول: «أن هداية القلب تعني: انفساحه ورضاه بكل ما قدره الله عامة، وما ينزل من المكروه خاصة، كالموت والمرض والفقر والقحط» (٦).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١ / ٦٠٩٦) برقم: (٢٥٩٠٠) (مسند عائشة رضي الله عنها).

(٢) تفسير السعدي. (١ / ٦٧٠).

(٣) موسوعة التفسير الموضوعي (١ / ١١٣).

(٤) إغاثة اللفهان (١ / ١١٣).

(٥) الطبري (٢٣ / ٤٢١).

(٦) إغاثة اللفهان (١ / ٦٧٠).

المطلب الثالث: سنة الله في أصحاب القلوب السليمة^(١).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، فالذي يحمل قلبا مخلصا لا شرك فيه ولا شبهة، لا شك أنه هو الذي ينتفع به في الآخرة. ومن هنا يجدر بنا أن نبين سنة الله وعاداته في أصحاب القلوب على اختلاف أوصافها، ليعيش المسلم بين الخوف والرجاء، الخوف من هلاك القلب وخسران صاحبه، والرجاء في مزيد من الطاعة ليفوز فوزاً عظيماً.

وبناء على ما تقدم من صفات القلب السليم نستطيع استجلاء سنة الله وعاداته مع أصحاب القلوب السليمة، وكونه سبحانه وتعالى يرزقهم من عطايه الجزيلة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيهبهم الطمأنينة وسكون النفس وراحة البال.

- ١- ويرزقهم الله عز وجل الخوف منه، فلا يقدمون على معصيته، ولا يجترئون على منكر.
- ٢- ويغرس فيهم الرأفة والرحمة والشفقة.
- ٣- ويمنحهم الله الطهر والنقاء وصفاء السريرة.
- ٤- كما يرزقهم الله الإخبات والخشوع والتذلل لجناب الحق - جل وعلا - ويغرس في قلوبهم الإيمان غرساً.

- ٥- كما يحبهم الله ألفة، وما أدراك ما الألفة؟ إنه سمت المسلم وسمته.
- ٦- كما يعطيهم الله التقوى والإنابة وكثرة الرجوع إليه سبحانه.
- ٧- كذلك الهدى والرشاد، وكفى بهما ظفراً لصاحبهما.
- ٨- كذلك يرزقهم الله القوة في الصدع بالحق، فلا يخافون من مخلوق البتة.
- ٩- كذلك يرزقهم الله ليونة وطواعية تجعل صاحب القلب السليم حياً يتأثر بالمواقف وينفعل بها. فهذه نعم حياتية نستطيع استشفافها من خلال آيات القرآن الكريم التي تقدم ذكرها في صفات القلوب السليمة من هذا البحث.

أما في الآخرة: فكفى صاحب القلب السليم شرفاً وفضلاً أن الله أعد له الجنة، وأعد له فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن كان جزاؤه الجنة فقد رضي الله عنه، وفاز فوزاً عظيماً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(١) موسوعة التفسير الموضوعي (١/٤٤٥).

المبحث الثاني القلب المريض

المطلب الأول: تعريف القلب المريض.

المريض لغة: مرض: الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان^(١).

اصطلاحاً: الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، والمرض ضربان:

الأول: مرض جسمي، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل، والجبن، والبخل، والنفاق، وغيرها من الرذائل الخلقية، نحو قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]^(٢).

ومما سبق، نعلم أن للقلوب أمراضاً كما أن للجسد أمراضاً، ومن أمراض القلوب: الغل، والضعن، والريب، والقسوة، والزيغ، والغفلة، والإثم، والفتنة.

والقلب يسلم بالطاعات، ويمرض بالمعاصي حتى يموت، وإما أن يفسد بشبهة أو شهوة. ولكل نوع علاجه، فعلاج مرض الشبهات يكون بطلب العلم بعد صدق التوكل على الله، وعلاج مرض الشهوات يكون بالصبر على تركها مع صدق الالتجاء لله تعالى ودعائه.

«ومرض القلب أن يتعذر عليه ما خلق له من المعرفة بالله ومحبته والشوق إلى لقاءه، والإناية إليه»^(٣).

وقد ورد وصف القلب بالمرض في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

قال الطبري: والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان^(٤).

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣١١/٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني (ص/٧٦٥).

(٣) اغائة اللفهان باختصار (٦٨/١).

(٤) تفسير الطبري (٢٧٩/١).

وقال ابن عباس: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي: شك. وقال مرة: النفاق^(١)، وقال طاووس: المرض: الرياء^(٢).

قال مجاهد في قول الله تعالى ذكره: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ [المائدة: ٥٢]، قال: المنافقون، في مصانعة يهود، ومناجاتهم، واسترضاهم أولادهم إياهم، وقول الله تعالى ذكره: ﴿ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾، قال يقول: نخشى أن تكون الدائرة لليهود^(٣). وقال السدي: الدائرة: ظهور المشركين عليهم^(٤).

وفي ضوء ما سبق، نلاحظ أن جميع الآيات التي ذكر فيها القلب المريض مدنية، وعامة المفسرين فسروا مرض القلب بالنفاق، وإنما ظهر النفاق في المدينة بعد غزوة بدر عندما قويت شوكة المؤمنين.

والآيات السابقة فيها بعض صفات القلب المريض، وسنبحثها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: صفات القلب المريض:

المسألة الأولى: الغل:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

فالقلب السليم لا يحمل غلا، والقلب المريض يضم الحقد، ويمشي بين الناس بالنميمة، وذلك لسوء خلقهم، ونفاقهم، وجبنهم، ولا شك أن الله سيخرج ما في قلوبهم ليحذر المؤمنون شرهم.

وعلاج الغل والضغن: القناعة بما قسم الله تعالى للعبد، وعدم التطلع إلى الغير، لأن ذلك يورث القلب هما، والههم ينتج حقا^(٥).

(١) المرجع السابق: (٢٨٠/١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٨/١).

(٣) تفسير الطبري (٤٠٢/١٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٠٤/١٠).

(٥) موسوعة التفسير الموضوعي (٤٣١/٢٧).

المسألة الثانية: الرِّيب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥].

قال الرازي: ﴿ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يدل على أن محل الريب هو القلب فقط، ومتى كان محل الريب هو القلب كان محل المعرفة^(١).

المسألة الثالثة: القسوة:

قال تعالى: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج: ٥٣].

قال ابن فارس: القَافُ وَالسَّيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْحَجَرِ الْقَاسِي. وَالْقَسْوَةُ: غَلْظُ الْقَلْبِ، وَهِيَ مِنْ قَسْوَةِ الْحَجَرِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ تَرُ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]^(٢). فلا يؤثر فيها وعظ ولا تذكير.

المسألة الرابعة: الغلظة:

وقد وردت هذه المادة في آي القرآن الكريم، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السعدي: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ أي: سيئ الخلق ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ أي: قاسيه، ﴿ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لأن هذا ينفهمه ويغضه لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص^(٣).

وقد جاء في صفة النبي ﷺ: { أَنَّهُ لَيْسَ بَفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ }^(٤). والفرق بين الفظظة والغلظة، أن الفظظة في القول، والغلظة في الفعل^(٥).

(١) تفسير الرازي (٦٠/١٦).

(٢) مقاييس اللغة (٨٧/٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص/١٥٤).

(٤) صحيح البخاري (٦٦/٣) رقم: ٢١٢٥.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (ص/٣٤٠).

وأما الفرق بين الغلظة والقسوة: فالغلظة تكون محمودة في مواضع، ومنها جهاد الكفار، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، والقسوة لم ترد في القرآن الكريم إلا في معرض ذم الكفار من اليهود والمنافقين.

المسألة الخامسة: الزَّيغ:

وقد ورد الزيغ مقترنا بالقلب في قوله تعالى: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

قال الطبري: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل، أزاع الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه^(١).

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أن الراسخين في العلم يسألون ربهم الثبات على الحق، فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨].

المسألة السادسة: الغفلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمَنَّ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].
نقل الطبري بإسناده إلى سلمان الفارسي أنه قال: نزلت الآية في الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، أنهم قالوا للنبي ﷺ: يا نبي الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، ولم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك^(٢).

المسألة السابعة: اللهو:

لغة: ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما^(٣). وما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه^(٤).

قال تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣].

(١) تفسير الطبري (٣٥٨/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤١/١٥) باختصار.

(٣) لسان العرب (٢٥٩/١٥).

(٤) المفردات (ص/٧٤٨).

قال القرطبي: أي: ساهية قلوبهم، معرضة عن ذكر الله، متشاغله عن التأمل والتفهم^(١). ولعل الفرق بين الغفلة واللهو، أن الغفلة أقل ضرراً على القلب من اللهو، فالغفلة قد تكون خالية مما يملأ قلب الإنسان، فيكون فارغاً من شغل الدين والدنيا، أما اللهو، فينشغل القلب فيه بالملهيات الدنيوية عن ذكر الله وعبادته والعياذ بالله، ولعل هذا هو السبب في أن اللهو ذم في القرآن مطلقاً، فقد ذم من تهليلهم التجارة عن ذكر الله، وذم لهو الحديث، ووصف الحياة الدنيا بأنها (لعب ولهو) وجاء اللعب مقترناً باللهو أربع مرات، أما الغفلة، فقد ذمت في مواضع، كالغفلة عن ذكر الله كما تقدم، ولكنها مدحت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣]، فقد وصف تعالى المؤمنة التقية العفيفة بأنها غافلة لم يخطر ببالها سوء، ولا تدري ما يقال عنها في غيبتها، والله أعلم.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى في القلوب المريضة:

المسألة الأولى: الرجس:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رَجَسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥]. نزلت الآية في المنافقين^(٢). كانوا يقولون باستهزاء: أيكم زادته هذه الآية إيماناً، فأخبر تعالى أن المؤمنين تزيدهم تصديقاً وذلك بزيادة البراهين، أما الذين في قلوبهم مرض ونفاق فزادتهم نفاقاً إلى نفاقهم^(٣).

والرَّجْسُ يكون على أربعة أوجه: إمّا من حيث الطبع، وإمّا من جهة العقل، وإمّا من جهة الشرع، وإمّا من كلّ ذلك كالميتة:

والرَّجْسُ من جهة الشرع: الخمر والميسر، وقيل: إنّ ذلك رجس من جهة العقل، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، لأنّ كلّ ما يوفي إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنّبه، وجعل الكافرين رجساً من حيث إنّ الشُّرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رَجَسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥]^(٤).

(١) تفسير القرطبي (١١/٢٦٨).

(٢) تفسير الطبري (١٤/٥٧٨).

(٣) موسوعة التفسير الموضوعي (٢٧/٤٤٧) باختصار.

(٤) المفردات (ص/٣٤٢) باختصار.

قال الرازي: المراد من الرجس إما العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة^(١).
فالقلوب المريضة، قلوب رجسة، تملؤها الشهوات والشبهات، حتى أصبحت خالية من حب
الله تعالى والتعلق به والاجتهاد في طلب طاعته وتجنب معصيته، والعياذ بالله.
المسألة الثانية: الصرف:

قال الله تعالى في ذكر حال المنافقين: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧].
قال الطبري: نزلت هذه الآية في المنافقين، وصرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله
قلوب هؤلاء المنافقين، وفعل الله بهم هذا الخذلان، وصرف قلوبهم عن الخيرات، من أجل أنهم
قوم لا يفقهون عن الله مواعظه، استكباراً، ونفاقاً^(٢).
المسألة الثالثة: الندم:

قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢].
لا شك أن الندم نتيجة للأمراض القلبية، فيندم مريض القلب على أمراضه وذنوبه إذا من الله
عليه بالهداية، وإذا رأى نصرة الله تعالى لعباده، فيندم على ما فاته من الغنائم، أو يندم حينما يرى
العذاب ويدخل النار والعياذ بالله.
قال القرطبي: أي فيصبحوا نادمين على توليهم الكفار إذا رأوا نصر الله للمؤمنين، وإذا عاينوا
عند الموت فبشروا بالعذاب^(٣).

(١) مفاتيح الغيب (١٧٤/١٦).

(٢) تفسير الطبري (٥٨٢/١٤) مختصراً.

(٣) تفسير القرطبي (٢١٨/٦).

المبحث الثالث القلب الميت

المطلب الأول: تعريف القلب الميت:

قال ابن القيم في تعريف القلب الميت: وهو القلب الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبد به بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حبا، وخوفا، ورجاء، ورضا، وسخطا، وتعظيما، وذلا. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه^(١).

المطلب الثاني: صفات القلب الميت:

المسألة الأولى: العمى:

وقد ورد العمى مقترنا بالقلب في الاستعمال القرآني في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وهذه الآية جاءت في سياق دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد، حيث يقول الله تعالى لرسوله ﷺ مسليا له عن تكذيب المشركين له: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤]. ثم أنكر سبحانه على أهل مكة عدم اعتبارها بهذه الآثار قائلا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

قال الألوسي: لا يُعْتَدُّ بِعَمَى الْأَبْصَارِ وَإِنَّمَا يُعْتَدُّ بِعَمَى الْقُلُوبِ فَكَأَنَّ عَمَى الْأَبْصَارِ لَيْسَ بِعَمَى بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَمَى الْقُلُوبِ، فَالْكَلَامُ تَذْيِيلٌ لِتَهْوِيلِ مَا بِهِمْ مِنْ عَدَمِ فِقْهِ الْقَلْبِ وَأَنَّهُ الْعَمَى الَّذِي لَا عَمَى بَعْدَهُ بَلْ لَا عَمَى إِلَّا هُوَ. أَوْ الْمَعْنَى: أَنَّ أَبْصَارَهُمْ صَحِيحَةٌ سَالِمَةٌ لَا عَمَى بِهَا وَإِنَّمَا

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/٩).

العمى يَقْلُوبِهِمْ فَكَانَتْهُ قِيلَ: ﴿ أَقَلَّمْ يَسِيرُوا ﴾ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ ذَاتُ بَصَائِرٍ فَإِنَّ الْآفَةَ بِبَصَائِرِ قُلُوبِهِمْ لَا بِأَبْصَارِ عُيُونِهِمْ وَهِيَ الْآفَةُ الَّتِي كُلُّ آفَةٍ دُونَهَا كَانَتْهُ يَحْتُثُّهُمْ عَلَى إِزَالَةِ الْمَرَضِ وَيُنْعَى عَلَيْهِمْ تَقَاعُدَهُمْ عَنْهَا^(١).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لِكُلِّ عَيْنٍ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ، يَعْنِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ: عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ لِذُنْيَاهُ، وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ لِأَخْرَتِهِ، فَإِنْ عَمِيَتْ عَيْنَا رَأْسِهِ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَا قَلْبِهِ فَلَمْ يَضُرَّهُ عَمَاهُ شَيْئًا، وَإِنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَا رَأْسِهِ وَعَمِيَتْ عَيْنَا قَلْبِهِ فَلَمْ يَنْفَعَهُ نَظَرُهُ شَيْئًا^(٢).

إِذَا: العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد. ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله^(٣).

المسألة الثانية: الرآن:

قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

وقد جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن المكذبين المنكرين للبعث والحساب والجزاء، والمطففين في الكيل والميزان، وتصوير جزاءهم في الآخرة، حيث يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَ الْبُرْجِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ٧-١٤].

والذي يلاحظ أن الله تعالى وصف المكذبين بثلاث صفات هي: الاعتداء على الحق، والمبالغة في ارتكاب الآثام، والجرأة في الافتراء والكذب، حيث وصفوا القرآن بأنه ليس من عند الله تعالى.

وقال ﷺ: { إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نُكِبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ عَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ }^(٤).

(١) تفسير روح المعاني (٩/ ١٥٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧٧/ ١٢).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٤٨٣).

(٤) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١/ ٤٥) رقم: ٦، وقال الحاکم: صحیح لم یخرج فی الصحیحین.

ثم بين سبحانه وتعالى عقاب هؤلاء المكذبين الذين ران على قلوبهم، فقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥-١٧].

فنلاحظ أنه ذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التويخ واللوم، وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار^(١).

قال الحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: كَمَا حَجَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنْ تَوْحِيدِهِ حَجَبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَنْ رُؤْيَيْهِ^(٢). وفي هذه الآيات التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئا فشيئا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقًا، والحق باطلاً، وهذا من بعض عقوبات الذنوب^(٣).

المسألة الثالثة: النفاق:

وقد ورد النفاق في السياق القرآني مقترنا بالقلب في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبِ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٨].

وجاءت هذه الآية في سورة التوبة في معرض الحديث عن أصناف المنافقين، وذكر هنا صنفاً آخراً منهم، وهم الذين أعطوا الله عهده وميثاقه: ﴿ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ﴾، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا ما لا ووسع علينا من عنده ﴿ لَتَصَّدَّقَنَّ ﴾، يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، يقول: ولنعملنَّ فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله. يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وأتاهم من فضله ﴿ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾، بفضل الله الذي أتاهم، فلم يصدقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق الله ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾، يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله ﴿ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ عنه^(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٨٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١٦).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٩).

فَلَمَّا لَمْ يَفُوا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، عَاقَبَهُمْ بِأَنْ أَعْقَبَهُمْ: ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ ﴿الفاعل هو الله سبحانه: أي: فَأَعْقَبَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ الْبُخْلِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُمْ وَالْإِعْرَاضِ نِفَاقًا كَائِنًا فِي قُلُوبِهِمْ، مُتَمَكِّنًا مِنْهَا، مُسْتَمِرًّا فِيهَا إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَقِيلَ: إِنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ إِلَى الْبُخْلِ: أَي: فَأَعْقَبَهُمُ الْبُخْلُ بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، نِفَاقًا كَائِنًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَ بُخْلَهُمْ: أَي جَزَاءً بُخْلِهِمْ. وَمَعْنَى ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ النِّفَاقَ الْمُتَمَكِّنَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْغَايَةِ عَاقِبَةً مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْبَاءُ فِي: ﴿بِمَا أَحْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ لِلْسَّبَبِيَّةِ: أَي بِسَبَبِ إِخْلَافِهِمْ لِمَا وَعَدُوهُ مِنَ التَّصَدُّقِ وَالصَّلَاحِ، وَكَذَلِكَ الْبَاءُ فِي: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أَي وَبِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

وعبر عن كذبهم بصيغة ﴿كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ لدلالة كان على أن الكذب كائن فيهم و متمكن منهم، ودلالة المضارع على تكرره وتجدده (٢).

المطلب الثالث: سنة الله في أصحاب القلوب الميتة.

المسألة الأولى: الرعب:

الرُّعْبُ: الانقطاع من امتلاء الخوف، وهو جند الله الأكبر يلقيه في قلوب الكفار رغم قوة عددهم وعتادهم، وَكَانَ أَعْدَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ مِنْهُ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، هَابُوهُ وَفَزِعُوا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً} (٣).

المسألة الثانية: الشد:

الشد على القلوب عقوبة أنزلها الله على فرعون وملاؤه، حيث دعا موسى عليه السلام عليهم بالشد على قلوبهم غَضَبًا لِلَّهِ وَلِدِينِهِ، لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَلَا يَجِيءُ مِنْهُمْ شَيْءٌ فِيهِ صَلَاحٌ، حَيْثُ تَجَرَّوْا عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ، وَأَفْسَدُوا عِبَادَةَ اللَّهِ، وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٣٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٧٤) برقم: ٣٣٥، ومسلم (١/ ٣٧٠) برقم: ٥٢١.

أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿ [يونس: ٨٨].

ومعنى ﴿ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾: «اطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالإيمان»^(١). «ويستفاد من الآية الكريمة أن الذين بلغوا حداً من الشر والفساد فطبع على قلوبهم لا يموتون إلا على الكفر فيخسرون، نعوذ بالله من سوء الخاتمة»^(٢).

المسألة الثالثة: الحسرة:

وقد وردت الحسرة مقترنة بالقلب في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

حيث نهى الله تعالى المؤمنين عن الكون مثل الكفار والمنافقين في هذا المعتقد الفاسد، الذي هو أن من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمُت في ذلك الوقت الذي عرّض فيه نفسه للسفر أو للقتال^(٣).

ثم بين الله تعالى عاقبة هذا القول في قلوب المنافقين، فقال تعالى: ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ «أي: خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتهم وقتلهم»^(٤). وذكر القلوب مع أن الحسرة لا تكون إلا فيها لإرادة التمكّن والإيدان بعدم الزوال^(٥).

ويستنبط من هذه الآية الكريمة أهمية الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الاعتراض على القدر يورث حسرة في القلب، ولهذا قال النبي ﷺ مشيراً إلى هذا المعنى: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان^(٦).

(١) تفسير الطبري (١٥ / ١٨١).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٠٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١ / ٥٣٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ١٤٧).

(٥) روح المعاني (٢ / ٣١٤).

(٦) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٥٢) برقم: ٢٦٦٤.

المسألة الرابعة: الختم والطبع:

والطبع لم يأت في القرآن الكريم إلا في القلب، أما الختم فقد ذكر في القرآن الختم على القلب والسمع والأفواه، فـالْخَتَمَ وَالطَّبَعَ وَالغِشَاوَةَ الْمَجْعُولَةَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ عِقَابٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى مُبَادَرَتِهِمْ لِلْكَفْرِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ بِاخْتِيَارِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِعَدَمِ التَّوْفِيقِ جَزَاءً وَفَاقًا، كَمَا بَيَّنَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]. وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وَقَوْلِهِ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]. وَقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ^(١).

المسألة الخامسة: الكنان:

وقد ورد الكن مقترنا بالقلب كعقوبة للمشركين أصحاب القلوب الميتة في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

بَيَّنَّ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ جَعَلَ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِ أَكِنَّةً (جَمْعُ كِنَانٍ) وَهُوَ مَا يَسْتُرُ الشَّيْءَ وَيُعْطِيهِ وَيُكِنُّهُ، لِئَلَّا يَفْقَهُوا الْقُرْآنَ، أَوْ كَرَاهَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ لِحِيلُولَةِ تِلْكَ الْأَكِنَّةِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَبَيْنَ فِقْهِ الْقُرْآنِ، أَيُّ: فَهَمَّ مَعَانِيهِ فَهَمًّا يَنْتَفِعُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَأَنَّهُ جَعَلَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، أَيُّ: صَمَمًا وَثِقَلًا لِئَلَّا يَسْمَعُوهُ سَمَاعَ قَبُولٍ وَانْتِفَاعٍ^(٢).

والأكنة التي هي الأغلفة التي ورد ذكرها في القرآن في موضعين، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

قال ابن قتيبة: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف. أي: كأنها في غلاف لا تفهم عنك ولا تعقل شيئاً مما تقول. وهو مثل قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] يقال: غلّفْتُ السيفَ: إذا جعلته في غلاف، فهو سيف أغلف^(٣).

المسألة السادسة: القفل:

وقد ورد القفل مرتبطاً بالقلب في الاستعمال القرآني في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

(١) أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي (١٧٦/٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٦٠/٣).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص/٥٥).

أي: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حُججه التي بيّنها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر^(١).

قال ابن القيم: وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج، الذي قد ضرب عليه قفل. فإنه إن ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه. وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الإيمان ولا القرآن. وتأمل تنكير القلوب وتعريف الأقفال بالإضافة إلى ضمير القلوب، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء من هم بهذه الصفة. ولو قال: أم على القلوب أقفالها. لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة^(٢).

أما سبب إضافة الإقفال إلى القلب، فيقول الطاهر ابن عاشور: إضافة أقفال إلى ضمير قلوب نظماً بديع أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب، أي: ملازمتها لها، فدلل على أنها قاسية^(٣).

(١) تفسير الطبري (٢٢ / ١٧٩).

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص / ٤٧٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦ / ١١٤).

الخاتمة

الحمد لله المنان على ما أنعم وأكرم، الحمد لله على تيسيره، ونصلي ونسلم ونبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيطيب لي في نهاية البحث أن نضع بين يدي القارئ أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث وهي كالتالي:

١- اهتم القرآن الكريم بالقلب اهتمامًا كبيرًا، وأكثر من ذكره فيه، لأن به صلاح الإنسان أو فسادَه.

٢- يستعمل القرآن الكريم القلب والألفاظ النظيرة له كل لفظة حسب سياق الآيات وحسب ما يقوي المعنى، وهذا من الإعجاز البلاغي.

٣- دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن القلب محل التعقل.

٤- القلب السليم هو الذي سلّم صاحبه من الوقوع في الشبهات والشهوات، واستقام على أمر الله، واقتدى بسنة رسول الله - ﷺ - وبالسلف الصالح.

والله أعلم.

قائمة المراجع

- ١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: ١٤١٥هـ.
- ٢- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - المحقق: محمد حامد الفقي - الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- ٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - المؤلف: جابر بن موسى أبو بكر الجزائري - الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٥- البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: ١٤٢٢هـ.
- ٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس - سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- ٧- تفسير القرآن العظيم - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - المحقق: سامي بن محمد سلامة - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.
- ٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) - المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٩- جامع البيان في تأويل القرآن - المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) - المحقق: أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

- ١٠- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
- ١١- دفع إيهاام الاضطراب عن آيات الكتاب - المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع: مكتبة الخراز - جدة - الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) - المحقق: علي عبد الباري عطية - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٣- زاد المسير في علم التفسير - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) - المحقق: عبد الرزاق المهدي - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- ١٤- غريب القرآن لابن قتيبة - المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) - المحقق: سعيد اللحام.
- ١٥- الفتاوى، المؤلف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، تحقيق: سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الخامسة، ١٤٤١هـ.
- ١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري - المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ١٧- فتح القدير - المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني - الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
- ١٨- كتاب التعريفات - المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) - المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.
- ٢٠- لسان العرب - المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي - الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

- ٢١- محاسن التأويل - المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) - المحقق: محمد باسل عيون السود - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزي - المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) - المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ٢٣- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة: ١٤٢٦ هـ.
- ٢٤- معجم الفروق اللغوية - المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري - المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي - الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» - الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢٦- معجم مقاييس اللغة - المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين - المحقق: عبد السلام محمد هارون - الناشر: دار الفكر - عام النشر: ١٣٩٩ هـ.
- ٢٧- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- ٢٨- مفردات ألفاظ القرآن - المؤلف: الراغب الأصفهاني - المحقق: صفوان عدنان داوودي - الناشر: دار القلم - سنة النشر: ١٤٣٠ هـ.
- ٢٩- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القلب، (٤٠٢/٢٧)، إشراف وتحرير مركز تفسير للدراسات القرآنية.
- ٣٠- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) - المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي - الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

